من حكايات الشعوب



الإسكافي الماهر

حكاية من تشيكسلوفاكيا

١٢

من حكايات الشعوب

حكاية من تشيكسلوفاكيا

رسوم .... نوال عبود



الإسكافي الماهر

دار الفتى العربي

في سالف الزمانِ كان هنالك إسكافيٌّ فقيرٌ لديه أبناء كثيرون ، وكان يعجزُ عن إيجادِ الغذاءِ الكافي لهم . ولم يكن ثَمَّةَ مَنْ يقصِدُه طَلباً للعَوْنِ ، كما أنه كان يخجلُ من أنْ يستجدي . وحينَ فقدَ الاملَ وأحسَّ باليأس ، أخذ حبلاً وذهب في الغابات ليشنقَ نفسَه . واختار شجرةً راسخة ، وكان على وشك ان يعقدَ الحبلَ في أحدِ أغصانها حين ربَّتَ شخصٌ على كتِفه . استدار فرأى رجلاً في ثيابِ صيَّاد .

قال الرجلُ الغريبُ : « ماذا تنوي أن تفعلَ ؟ »

نظر الإسكافيّ إلى قدمي الرجلِ الغريب فرأى حافرَيْن ، وأدرك للتوِّ أنه يواجهُ الشيطانَ ، ولكنه لم يفزع ، وقال : « أودُّ أن أنزِعَ من هذه الشجرة غصناً لأصنَعَ مِصْيَدَةً للشياطين . »

ذُعِرَ الغريبُ لأوَّل وهلةٍ ثم قال : « من الواضح أنك أدركتَ من أنا . دعِ الشياطينَ جانباً وأنا كفيلٌ بأنْ أُعطيكَ كلَّ ما تُريدُ . »

طلب الإسكافيُّ مالاً بقدر ما يستطيع الشيطانُ حَمْلَهُ على ظهره ، فاختفى الشيطان ، وفي اللحظةِ التالية سقط كيسٌ ثقيل على الأرض عند قدمي الإسكافي . نظر هذا في الكيس ليتأَكَّدَ من أنَّ الشيطانَ لم يَخْدَعْهُ ، فوجده مملوءًا بالدراهم ، فجرَّهُ بين الأشجارِ مقرِّراً أن يستدعيَ زوجتَهُ لتعاونَهُ في وضعه على عَرَبَةٍ يَجرَّانِها إلى البيت .

في الوقتِ نفسِهِ عاد الشيطانُ إلى الجحيم واخبرَ سائرَ الشياطينِ بالقصة ، فَغَضِبَ إبليس كبيرُ الشياطين ، وصاحَ قائلاً : « لقد أعطيتَ الإسكافيَّ عطاءً جُزافاً . ارجعْ على الفورِ وقلْ له إنَّ عليه أن يقهرَك في المصارعة قبلَ أن يصبحَ المالُ حلالاً له . ولا ريبَ أنَّ الإسكافيَّ سيخسرُ الجولةَ ، وإذا رجعتَ والكيس ليس معَك فاني سأُلقيكَ في البحيرة الناريَّة . »

لم يكنْ في وُسْعِ الشيطانِ أن يعصيَ ما أُمِرَ به ، فطار من الجحيم ، وأدركَ الإسكافيَّ عندَ طَرَفِ

الغابة ، وقال له : « أَصغِ إليَّ أيُّها الإسكافي ، لقد أَعطيتُكَ من المال ما يجاوزُ الحدَّ المعقول ، عليك أن تنازلَني ، وَمَنْ كَسِبَ الجولة منَّا كان المالُ له . »

تحيَّر الإسكافيُّ كيف يردُّ على هذا التحدّي ، وفجأَةً تذكر أنّ دُبًّا قوياً قد اتخذ وِجاراً له في صخرة قريبة . فاقتاد الشيطانَ إلى الصخرة وقال له : « هذا هو موطنُ جدّي . عمره تسعون عاماً ، ولا يمكنُ ان يكون نِدًّا لك ، لكنِّي أُريدُ أن تُنازِلهُ أوَّلاً ، فإذا قهرتَهُ تيقنتُ أنَّك قادرٌ على أن تقهرني . »

زحف الشيطانُ إلى داخلِ الوجارِ ، فقابله الدبُّ مزمجراً ، وضرب الشيطانَ بمخالبه القوية وطرحه أرضاً . ولما نجا الشيطانُ بنفسه ، طار نحو الجحيم بأَقصى سرعةٍ وقال لإبليس : « من حُسْنِ حظِّي أنني لم أُنازِلْ ذلك الإسكافيّ ، لأَنَّ جدَّهُ ابنَ التسعين عاماً كاد ينثرُ دماغي من رأسي . »

زمجر إبليسُ قائلاً : « يا لكَ من أحمق !



لقد خُدِعْتَ وجازتْ عليكَ الحيلة ، ولهذا لا بدَّ أن أُلقيَكَ في البحيرةِ النارية . »

واختار إبليسُ شيطاناً آخرَ وأَمره أن يطيرَ إلى الأرض ، وأن يستدعيَ الإسكافيَّ إلى السباق ، فمن سبق منهما أخذ الكيسَ . وما كاد الإسكافيُّ يغادرُ صخرةَ الدبِّ حتى واجهه الشيطانُ الثاني ، وكان أشدَّ مكراً من الأول . وصاح الشيطان : « هذه الدراهمُ ليست لك . علينا أن نُجرِيَ سباقاً ، ومن فاز كان الكيس له . »

وتظاهر الإسكافيُّ بقلّة الاكتراث وقال : « لا بأس . ليكنْ بيننا سباق . ولكن عليك قبل ذلك ان تُرِيَني مدى سرعتك . »

كان الإسكافيُّ في شبابه كثير الشَّغَفِ بالصيد ، ولهذا كان يعلمُ أين اتخذ أرنبٌ بريّ عجوزٌ موطنه . وحين قال ما قال ، رأى الأرنبَ جالساً في أُخدود ، فقال للشيطان : « انظر ، هناك في هذا الحقل يسكن ابني ، واسمه « واثق » . لقد وُلِدَ منذ

أسبوع ، غيرَ أنه سيكونُ عدَّاءً باهراً ، فإذا كنتَ أسرَعَ منه فذلك يعني أنَّكَ قادرٌ على أن تَسبِقَني . »

اقتربا من الأرنبِ فصاح الشيطان : « هيّا يا « واثقُ » انهضْ ، فإننا سنقومُ بسباق . »

قفز الأرنبُ في الفضاء دون أن ينتظرَ الشيطانَ ، ومضى يجري في الحقل ، صاعداً مرتفعاً شاهقاً ، متغلغلاً في أَجَمَةٍ من الشوك ، وأخيراً توارى متوغِّلاً بين الأشجار.

وانقضَّ الشيطان في أَثره وقد تدلَّى لسانُه ، فجرَّحه الشوكُ ووقعَ في المياه الراكدة ، وحين حاولَ أن يثبَ عبرَ الجدولِ زلَّتْ به قَدَمُهُ ووقع في الماء ، وحين أصبحَ الشيطانُ على تلك الحالِ ، لاهثاً مجرَّحاً ملطَّخاً بالوحل ، طار عائداً الى الجحيم وقال لإبليسُ : « مِنْ حُسْنِ حظِّي أني لم أَدْخُلْ في سباق مع الإسكافيِّ . وكيف أَسْبِقه وابنُهُ الذي لا يتعدَّى عمره أسبوعاً قد سبقني ؟ ! »

استبد الغضبُ بإبليس حين وجد أنَّ الشيطانَ





الثاني نفسه قد خُدِعَ ، وأمر أن يُلْقَى في البحيرة النارية عقاباً له .

ثم أرسلَ شيطاناً ثالثاً إلى الأرض ، وأمره أن يستردَّ كيسَ الدراهم . كان الإسكافيُّ متوجهاً نحو الأشجارِ حيث كان المالُ مُخَبَّأً حين مَثَلَ الشيطانُ أمامَهُ .

قال الشيطانُ الثالث : « لقد حُزْتَ منَ المالِ فوق ما تستحقّ ، وعليك أن تُبرهن على أنك أقوى مني إن شئتَ أن تحتفظَ بالمال . سيحملُ كلٌ منّا حصاناً على ظهره ، وَمَن استطاعَ منّا أن يطوفَ حول هذه الغابةِ ثلاثَ مراتٍ وهو يَحْمِلُهُ كان المالُ له . »

نظر الإسكافيُّ حولَه فرأى خيولاً ترعى عند طرف الغابة ، فقال للشيطان : « تلك هي خيولُنا ، ولكن عليكَ أن تبدأ أنت أوّلاً لأَتأَكّدَ من أنّك لا تخدعُني . »

التقطَ الشيطانُ حصاناً ووضعهُ على ظهره

ودارَ حولَ الغابةِ مرتين ، ثم اضطر ان يتوقَّفَ ليستردَّ أنفاسَهُ قبل أن يستأنِفَ الطوافَ .

فأسرع الإسكافيّ يقول : « يبدو أنك لا تستطيعُ مُجاراتي قُوَّةً أيها الشيطان . لقد توقفتَ لتستردَّ أنفاسكَ مع أنَّ كلَّ ما تحملُه على ظهركَ ليس سوى حصان . لكنْ تأَمَّلْ ما أَصْنَعُ أنا . سأُمْسِكُ الحصانَ بين فخذَيَّ وأعْصُرُه كأنه بين فكَّيْ كمَّاشة . انظر ! »

وثب الإِسكافيُّ فوق ظهرِ الحصان ، وضربه على كَفَلِه بقضيب ، وطاف حولَ الغابةِ ثلاثَ مرات ، وجرى الشيطانُ خلْفَهُ ، فلما أخذ الإسكافيُّ في الشوطِ الثالثِ كان الشيطان يلهثُ إعياءً وقد تدلَّى لسانُه . ولم ينتظرِ الإسكافيَّ حتّى يترجَّلَ وإنما طار إلى الجحيم مغلوباً .

واتجه إلى إبليسَ وقَصَّ عليه ما جرى ثم قال : « من حُسْنِ حظي أنني نَجَوْتُ حيًّا ، فقد حملتُ الحصان على ظهري ، واضطررت أن أتَوقَّفَ لأَستردَّ

أنفاسي بينما عَصَرَ الإسكافيُّ الحصانَ بين ركبتيْه وجرى به ثلاثةَ أشواطٍ دون توقّف . »

فدمدم إبليسَ غضباً وهو يقوْل : « يا لكَ من أَحمقَ جازتْ عليه الخديعة ! لا بدَّ أن أُلقيَ بك في البحيرة الناريَّة . » ثم نادى أكبرَ الشياطين سنًّا ليشاورَهم في الأمر، فوقع اختيارُهم على واحدٍ من الشياطين الفتيان ، وأجمعوا على أنه أشدُّ الشياطينِ مكراً ، وأَرسلوه إلى الأرض .

كان الإسكافيُّ قد أعاد الحصانَ إلى المرعى ورجع ، فإذا بالشيطان أمامه يقول : « أدعوكَ إلى رهانٍ أخير : من كانَ منَّا أعلى صفيراً كان المالُ من نصيبه . »

قال الإسكافيُّ : « أنا لا أعرفُ كيف أَصْفِرُ ، ولكنِّي أُحبُّ أنْ أسْمَعَكَ تفعلُ ذلك . » فأطلق الشيطانُ صفيراً حادًّا أسقطَ الأَوراقَ عن الشجر ، وصفر مرة أخرى فانكسرتِ الأَغصانُ الصغيرةُ جميعاً ، وبعد الصفرةِ الثالثةِ تحطَّمتِ الأَغصَانُ



الغليظةُ وَهَوَتْ إلى الأرض .

فابتسمَ الإسكافيُّ وقال : « لا أَستطيعُ أن أزعُمَ أنك لم تصفر، ولكنْ صبراً لأُطلقَ صفيراً يبعثُ عاصفاً يقتلعُ الأَشجارَ من جذورها . إنك ما تزال فتياً بالقياسِ إلى مَنْ رأيتُهُمْ من الشياطين ، وقد يُعْمي العاصِفُ عينيك ، لهذا أَنصَحُكَ أن تَحْجُبَهُمَا . »

فقال الشيطانُ : « شكراً لك على نصيحتك . هل تستطيعُ أن تربطَ عصابةً على عينيَّ ؟ » ووقف الشيطانُ ساكناً بينما كان الإسكافيُّ يربطُ العصابة ، ثم تناول الإسكافيُّ غصناً قوياً وضرب الشيطانَ على رأسه فقفز في الهواء عاوياً كالذئب .

وقال الإسكافيُّ في هدوء : « ألم أُخبرْكَ أن صفيري يقتلعُ الأَشجارَ من جذورها ؟ ! »

فقال الشيطانُ : « لا أرى ما يدعو إلى صفيرك مرةً أُخرى . »

فقال الإسكافيّ : « آسف ، لكنْ هذا هو الشرط .

لقد صفرتَ أنت ثلاثاً وعليَّ أن أفعلَ كما فعلتَ ، وإلا لم يكن الرهانُ عادلاً . »

ومدَّ يده ثانيةً بالغصن وضرب الشيطانَ المعصوبَ العينين حتى دار كأنه مكّوك . وشفعَ هذه الضربةَ بثالثة قوية حتى إن الشيطانَ صرخ متألماً ، وطار إلى الجحيم دون أن يستيقنَ هل اقْتُلِعَتِ الأَشجارُ من جذورهَا أو لا .

وغضب إبليس حين نقل إليه هذا الشيطانُ القصّة ، ولم يجد أحداً يرسلُه إلى الأرض ، وظل الإسكافيُّ يحتفظ بالمال .

وانقضت أيامُ البؤس . ثم استأنف الإسكافيُّ عمله وعاش هو وعائلته منذ ذلك الحين في أمان واطمئنان .

عن تشيكسلوفاكيا



تقع في وسط أوروبا ليس لها أي منفذ بحري. يحدها من الشمال بولونيا، ومن الغرب ألمانيا، ومن الجنوب النمسا وهنغاريا، ومن الشرق الاتحاد السوفياتي.

مساحتها: ١٢٧٨٨١ كلم٢.

سكانها: ١٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة.

عاصمتها: مدينة براغ.

تزرع القمح والشعير والذرة والشمندر السكري وحشيشة الدينار، وهي غنية بالمواد الأولية، وتعتبر أكثر دول أوروبا الشرقية تطوراً من الناحية الصناعية.

تكونت بعد الحرب العالمية الأولى بعد أن كانت جزءاً من الامبراطورية النمساوية المجرية، واحتلها النازيون في الحرب الثانية، وتحررت عام ١٩٤٥ وتسمى اليوم جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية.

من حكايات الشعوب

مجموعة منتقاة من قصص الشعوب ، نتعرّف من خلالها على جانب من التراث الإنساني الفولكلوري ، وعلى أجمل القصص التي ابتكرها خيال الإنسان ... هذا بالإضافة إلى معلومات عن البلد وموقعه من خريطة العالم ...

صدر من هذه السلسلة :

الطبعة الخامسة ، بيروت - ١٩٨٥

طباعة : مؤسسة دار الريحاني
ص.ب ٥٣٧٨/١٣ - تلكس RIDCO 41127 LE بيروت

دار الفتى العربي
للنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة ـ بناية الترك ـ تلفون ٣٠٤١١٠ ـ العنوان البرقي : دافتنشر ـ بيروت ـ لبنان

